المقتطف

المجزء التاسع من السنة الخامسة عشرة

١ حزيران (يونيو) سنة ١٨٩١ الموافق ٢٤ شوال سنة ١٣٠٨

الوزارة الرياضيّة

آراؤنا في هذه الوزارة مشهورة واقوالنا عنها ثابتة مسطورة فحسبنا في تلخيص تاريخها اجمال ما اثبتناهُ في صفحات المقتطف من مآثرها وفعالها

تألفت الوزارة الرياضيّة الثانية في عيد النطرسنة ١٨٨٨ فانشأنا حينئذٍ مقالة ضافية في المقتطف قلنا في ختامها ما يأتي «ان المقتطف لا يقف موقف رجال السياسة ولا ينظر الى احوال البلاد من وجهتهم لان له موقفًا بين اهل المعارف ووجهة النظر في احوال البلاد الادبيّة والعلميّة والصناعيّة والزراعيّة ومن هذا الموقف يرى الوزير الخطير مرحبًا به شاهدًا على رؤوس الاشهاد ان خير البلاد في الحال والاستقبال متوقف على انتشار العلوم والآداب فيها وتوطيد اركان الزراعة والصناعة على المبادىء العلميّة. ومن هذا الموقف يرى الحمل الثقيل الذي ألقي على عاتق وزير مصر واخوانهِ الوزراء الذين اختارهم بثقته — يرى ان ثروة البلاد في خطر لان وارداتها مع ما تدفعهُ ربا ديونها تزيد على قيمة صادراتها — يرى ان الزراعة وهي مصدر ثروة البلاد تقبل الاتساع اضعاف ما هي متسعة والاتقان اضعاف ما هي متقنة — يرى الصناعة وهي مصدر آخر للثروة منفيّة من البلاد — يرى العلم وهو اساس النجاح ضعيفًا ضئيلاً عائقًا بالرسم والتقليد — يرى حانات المسكرات غاصّة بالذين باعوا وقتهم وعقلهم ودفعوا الثمن من جيوبهم — يرى مغائر المقامرة تسلب اموال اغرار الوطن وتهيلها على نفر من رعاع الناس يرى ذلك كلهُ ويسأل الحق سبحانهُ ان يحقق آمال امير البلاد في وزيره ورفاقه فيقوموا معهُ بهذا العبء الثقيل ويداووا ادواء البلاد ويردّوا اليها ايام الخير والاسعاد»

هذه بعض الآمال التي كانت تتردّد في صدر المقتطف يوم قيام الوزارة الرياضيّة الثانية.

وقرّاؤهُ يدرون كما ندري ان معظمها قد تحقق مع كثير غيره ما لم يمكن يخطر على البال. وبوافقنا كل من استقصى اخبار مصر واستقرى حوادثها الداخليّة والخارجيّة ان مصير احوالها اجمالاً كان من حسن الى احسن في عهد الوزارة الرياضيّة حتّى انهُ يحق لدولتلو رياض باشا ان يبيت قرير العين ناعم البال بعد تنازلهِ عن منصب الوزارة عالمًا ان مساعي مصر كانت مكللة بالتوفيق ومقرونة بالنجاح خارجًا وداخلاً في ايامهِ. اما خارجًا فحسبنا ذكر ما كانت عليهِ احوال السودان مع مصر يوم تربع في دست الوزارة وما هي عليهِ اليوم بعد ما بدّد الجيش المصري جماهير الدراويش. وتحويل الديون المصرية وتقليل الفوائد الاجنبيّة حوالي ٣٥٠ الف جنيه في السنة ثم عقد الاتفاقات التجاريّة مع بعض الدول الكبرى الاوربيّة وتمهيد السبيل الى عقد مثلها مع البقيّة واحراز ما فيها من الفوائد للديار المصرية الى غير ذلك مما لا حاجة الى استيفائهِ. وعلاقة مصر مع الدول الاجنبيّة على ما يرام من الحسنى والانتظام وقد علا شأنها عند الممالك الخارجيّة لازدياد ثقتهم بتحسن ماليتها وانتظام شؤونها الداخليّة

واما داخلاً فالمقام يضيق دون ذكر الفوائد التي تمت في هذا القطر ايام الوزارة الرياضيّة. ويقال اجمالاً ان الوطني وجد فيها الراحة والرفاهة واعتبار الحقوق ومراعاة الوطنيّة فاحوال الفلاّح تحسنت تحسنًا لا يخفى على باحث ونال من العناية والانعام ما لم يكن يحلم بهِ في المنام. فقد أُلغيت السخرة عنهُ باثقالها وخففت الضرائب عن اطيانهِ وأُزيلت عنهُ احمال العوائد الكثيرة واعفي مدةً من المتأخرات عليهِ للحكومة وابطلت الضرائب عن املاكهِ الثالثة وما يؤخذ للمنافع العموميّة وكل ذلك لتحسين احوالهِ الماليّة. وعملت لهُ الاعمال التي تمنع الشرق عن اطيانهِ ورممت لهُ القناطر الخيريّة وفتح الرياح التوفيقي والترع والفروع العديدة وكل ذلك لتوسيع نطاق زراعتهِ وتكثير جنى ارضهِ. وانشئت لهُ السكك الزراعية والكباري الكبيرة وشعبت السكك بين قراهُ وكفورهِ وانزلت اجرة البريد والرسائل البرقيّة وكل ذلك لتسهيل الاتصال عليهِ في النقل والاخذ والعطاء. ووضعت الشرائط والقيود على الذين يعاملونهُ من رجال الحكومة وذلك لصون حقوقهِ وانصافهِ ممن يعتدي عليهِ

ولم يكن نصيب الصانع والعامل بأقل من نصيب الفلاّح فقد أُلغيت عوائد الويركو عن الصانع والعوائد والمكوس التي يشترك فيها مع غيرهِ من الاهالي وعادت الصناعة الوطنيّة فانتعشت بعد الذبول كما يشاهد في المحلة الكبرى وغيرها واجريت على العامل الارزاق الواسعة بالاعمال التي عملتها الحكومة في عهد الوزارة الرياضيّة وخصوصًا اعمال الري في الوجه القبلي التي انقذت الالوف من انياب الجوع ومخالب الموت لما اتسعت الشراقي سنة ١٨٨٨

وقد اتسع نطاق المعارف اتساعًا يذكر فيشكر فزيد لها نحو عشرين الف جنيه من المال في السنة وادخل الاصلاح في اصولها وفروعها واتجهت العناية الى اصلاح الكتاتيب وتعميم التعليم بين عامّة الاهالي قبل خاصتهم وانشئت المدرسة الزراعيّة تحقيقًا لامانيّ طالما خامرت النفوس

هذا يسير من كثير ما تمّ في عهدة الوزارة الرياضيّة من الاصلاحات الداخليّة ناهيك عن الاصلاحات المتعلقة بالمسائل الاجتماعيّة كاقفال محلّات المقامرة بعد اقناع الدول بالموافقة على ذلك والسعي في صيانة الاعتدال والعفاف والآداب والاهتمام بوقاية البلاد من آفات الاوبئة وخصوصًا لمّا امست غوائل الهواء الاصفر على الابواب

ولا نتعرّض هنا لذكر ما تمّ في دوائر الحكومة من التنظيم والاصلاح وانما نقول ان دولتلو رياض باشا تخلّى عن الوزارة والخزينة المصريّة عامرة والاموال فيها وفي الديار المصريّة طائلة وافرة والقراطيس المصريّة بالغة حدًّا لم تبلغه في سالف الايام وصيت مصر في الخارج كنفح المسك وريّا الخزام

وقد قيض لنا ان نلخّص تاريخ الحوادث المصريّة في عهد الوزارة الرياضيّة مرتين عن سنيها الاخيرتين وقد ذكرنا في كل تاريخ منهما انهُ لو استتبّ الأمن في مصر لقلنا ان الاصلاح تامّ وافردنا المقالات الطوال في المقطّم للحث على توطيد الامن وتقريره على قرار مكين. وقد وجهت الوزارة الرياضيّة اعظم عنايتها الى ذلك وانفق ان آراءها من هذا القبيل لم تطابق آراء المتعهدين للدول الأوربيّة باصلاح الديار المصريّة وتعدّدت اوجه الاختلاف بينهما وخصوصًا في المسائل القضائيّة والاداريّة حتّى صار يتعذّر تقرير الامن العام وادارة مهام الحكومة مع تزايد الخلاف في الرأي على ذلك المنوال فقدّم دولتلو رياض باشا استعفاءهُ حينئذٍ فلم يعنو الجناب العالي وعلم اخصّاؤهُ انهُ يترقب الفرص المناسبة للاستعفاء حتّى اذا شعر في هذه الاثناء بانحطاط في صحتهِ عرض استعفاءهُ ثانية صباح الثاني عشر من شهر مايو الماضي على الجناب العالي وبذلك انقضت مدة الوزارة الرياضيّة ممتازة بالمنافع العميمة والمآثر العظيمة خاليةً من المصائب والخطوب تاركة لمصر ذكرًا سعيدًا واثرًا حميدًا في صفحات التاريخ. ويعجبنا ما قالهُ لنا امس بعض الاقطاب الذين يخالفون دولتلو رياض باشا في الرأي ولكنهم اختبروهُ وقدّروهُ قدرهُ. وهو قد كان دولتلو رياض باشا مثلاً بين قومهِ بالصدق والاستقامة والغيرة الوطنيّة والشهامة وسيقابلُ قومهُ فضلهُ بالدعاء وتذكرهُ اعقابهم بالمدح والثناء

هذا والآمال معقودة بان الوزارة المصريّة الجديدة وزارة عطوفتلو مصطفى باشا فهمي

تسهر على خطّة الوزارة السابقة في تعميم الاصلاح ونشر المعارف بعناية سموّ اميرنا المعظم الساهر على مصالح رعيته

علاقة المشرق بالمغرب

للمشرق في عيون فُضلاء المغرب مقامٌ رفيع وشأن عظيم . فيَقْدِمون على درْس عادياته بالطيبة والوقار كما يُقْدِمون على درس الفلسفة وعلم الكلام . وينظر علماؤهم في اخلاق شعوبه بعين التجلّة والإكرام لانهم بروتهم عريقين في النضل راسخين في النُبْل مرّت عليهم الاحقاب وطوّحت بهم نوائب الزمان ولم يزالوا مستمسكين بعرى الشهامة وكرم الاخلاق . قال احدهم وهو الشهير مكس مُلّر إمام علماء اللغات الشرقيّة في خطبة تلاها حديثًا ببلاد الانكليز اننا ندرس في المشرق اجلّ المسائل وارفعها شأنًا المسائل التي هي الغرض الاسمى من مباحث الانسان فاننا ما دمنا ننظر الى الشرقيين نظر الغرباء ولا نرى في المصريّ الاّ جثة محنطة ولا في البابليّ الاّ صنمًا منقوشًا في الصخر ولا في الهندي الاّ رجلاً عائشًا في فيافي الاحلام ولا في التبتي الاّ رجلاً يحب الهزل والمزاح فحكماء المشرق يبعدون عنا بعدًا شاسعًا ولسنا من علماء المشرقيات . واما اذا اعتبرنا اهالي المشرق اناسًا مثلنا في القوّة والضعف والكمال والنقص والمقاصد والمطالب فحينئذٍ يجوز ان يُطلَق علينا اسم دارسي المشرقيات وهي نوع الانسان الذي هو واحد مهما اختلفت لغاته ومظاهره »

والشرق اقدم حضارةً من الغرب فالمصريون يمتدون في تاريخهم الى اربعة آلاف سنة قبل المسيح بل الى اكثر من ذلك والصينيون الى اكثر من اثني سنة قبل المسيح والبابليون والفينيقيون الى مثل ذلك او الى اكثر منه . وقد طرق حكماء المشرق جميع ابواب الحكمة قبل ان اوى اهالي المغرب الى الكهوف والخصاص . ثم طرأ على المشرق من الطوارىء الطبيعيّة والسياسيّة ما اوقف نموّه وزعزع دعائم مجده فاسمى في الحالة التي وجدناهُ فيها لمّا وُجدنا فيه هدفًا لسهام النوائب الوطنيّة وغرضًا لمطامع الامم الاوربيّة لا تدخل اشعة النور خروق سجنه الاّ لتريهُ ما يحيط به من آثار الذل والشقاء وعلامات الضعف والوناء

وفي الكون ناموس لا يحول ولا يتغيّر وهو ان الاخلاق التي ثبتت على توالي الاعقاب يعسر زوالها واذا زالت لم يعسر ان تعود الى ما كانت عليه حالما تتوفّر لها المعدات اللازمة . فالثمر البستاني الذي طال اعتناء الانسان به قرونًا كثيرة حتّى بعد عن البري منهُ بعدًا